

البعد الإنساني والفني في أدب الناشئة دراسة تحليلية لرواية "الفتى الذي أبصر لون الهواء" لعبده وازن.
**The Human and Artistic Dimensions in Emerging Literature: An Analytical Study of
 Abdo Wazen's Novel "The Boy Who Saw the Color of Air."**

حياة دقي¹،

¹ جامعة تيبازة (الجزائر)، degui.hayat@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/12 تاريخ القبول: 2026/05/23 تاريخ النشر: 2026/06/01

ملخص:

يندرج هذا البحث ضمن دراسات أدب الناشئة بوصفه مجالا سرديا حديثا يسعى إلى صوغ وعي الفتان عبر قيم جمالية وتربوية متكاملة. يهدف إلى مقارنة رواية "الفتى الذي أبصر لون الهواء" من خلال مساءلة إشكاليتين أساسيتين: كيف تتجلى البنية الفنية في بناء السرد الموجّه للناشئة؟ وما هي الأبعاد الإنسانية التي تركزها التجربة النصية في سياقها التربوي والجمالي؟

اعتمدت الدراسة مقارنة تحليلية تستند إلى تفكيك العناصر السردية من لغة وحبكة وشخصيات، ورصد آلياتها في تمثيل القيم الإنسانية. وقد أظهرت القراءة أن النص يزواج بين وضوح البنية وبساطتها، وبين عمق البعد الإنساني الذي يعكس قضايا واقعية ويغرس قيما قادرة على تشكيل وعي الناشئة وتحفيز طاقاتهم الإبداعية. وتخلص الدراسة إلى أن أدب الناشئة، كما تمثله هذه الرواية، يفتح آفاقا نقدية وبيداغوجية جديدة، إذ يجمع بين الإبداع الأدبي والرسالة التربوية، ويؤسس لمقاربة نوعية تستجيب لحاجات جيل الفتان في المجتمع العربي.

كلمات مفتاحية: أدب الناشئة، البعد الإنساني، البنية الفنية، القيم التربوية، السرد.

Abstract:

This study examines *The Boy Who Saw the Color of Air* within the framework of young adult literature, a genre that shapes adolescents' awareness through aesthetic and educational values. It raises two central questions: how does the narrative structure address young readers, and what human dimensions does it embody?

Through an analytical reading of language, plot, and characters, the study shows that the text combines narrative clarity with meaningful depth, reflecting real issues while instilling formative values. It concludes that young adult literature offers a distinctive space where literary creativity converges with an educational mission, opening new horizons for Arab youth.

Keywords: Emerging literature, human dimension, artistic structure, educational values, narrative

*المؤلف المرسل: حياة دقي

1. مقدمة

طالما كان الأدب ولا يزال مرآةً تعكس حقائق النفس الإنسانية بأبعادها الفكرية والعاطفية، فهو سجلٌ للتجارب الفردية والجماعية، وأداة للتعبير عن آمال البشر وآلامهم. وقد تنوعت وظائفه عبر العصور بين المتعة الفنية والإفادة المعرفية والتوجيه القيمي، مما جعله أحد أهم الوسائط الثقافية والتربوية التي ترافق الإنسان في مختلف مراحل حياته. وتبرز مرحلة الطفولة والناشئة باعتبارها الأكثر حساسية في تكوين الفرد، إذ يشكل الأدب في هذه المرحلة أرضية خصبة لبناء الشخصية وصقل الوعي وتغذية الخيال.

ويُعدّ أدب الناشئة أحد أهم ألوان الإبداع السردي المعاصر، لما يتيح من إمكانات لغرس القيم الإنسانية والتربوية بأسلوب في مشوّق، ولما يمثله من رافد تربوي ومعرفي يوازي المنظومة التعليمية الرسمية. ومن أبرز أجناس هذا الأدب الرواية، لما تتمتع به من قدرة على جذب المتلقي الفني وإكسابه خبرات حياتية وجمالية في آن واحد. ورواية الأطفال لون رفيع من ألوان هذا الأدب فقد كانت ومازالت وسيلة من وسائل نشر الثقافات والمعارف والعلوم بسبب ما تنطوي عليه من جاذبية وتأثير في النفوس، وهي إلى جانب ذلك أحسن وسيط تربوي فعال سواء في المنهج الدراسي أو في القراءة الحرة، ولقد فطن الأدباء العرب إلى هذه الأهمية وأولوها عنايتهم، وأدركوا أن الكتابة للأطفال ليست بالأمر اليسير كما قد يبدو للوهلة الأولى.

انطلاقاً من هذه الأهمية، تسعى هذه الدراسة إلى مقارنة رواية "الفتى الذي أبصر لون الهواء" لعبده وازن، بوصفها نموذجاً معبراً عن خصوصية أدب الناشئة العربي، وذلك من خلال مساءلة إشكالية رئيسة تتمثل في كيفية تفاعل البنية الفنية للرواية مع بعدها الإنساني والتربوي، ومدى قدرتها على مخاطبة وعي الفتیان وتلبية حاجاتهم الجمالية والثقافية. ويندرج ضمن هذه الإشكالية تساؤلان أساسيان: ما أبرز التيمات التي تعالجها الرواية وما الآليات السردية الموظفة في عرضها؟ وكيف يتجلى البعد الإنساني في النص، وما القيم التي يسعى إلى ترسيخها؟

وتنطلق الدراسة من فرضية أن الرواية تقدّم بنية سردية تتسم بالبساطة والوضوح مع الحفاظ على العمق الفني، وأنها تسعى إلى غرس قيم إنسانية وتربوية تتجاوز حدود المتعة الجمالية، بما يؤكد قدرة أدب الناشئة على المزاوجة بين الوظيفة الفنية والرسالة التربوية. وتهدف هذه المقاربة إلى الكشف عن أهم التيمات الإنسانية والفكرية التي تناولتها الرواية، وتحليل الآليات الفنية التي اعتمدها الكاتب في بناء نص موجه للناشئة، مع إبراز قيمة هذا الأدب في إثراء الوعي الجمعي العربي. وتعتمد الدراسة في ذلك على المنهج التحليلي النصي، من خلال تفكيك العناصر السردية ورصد تفاعلاتها مع البعد الإنساني والقيمي، في ضوء مقارنة نقدية تربط بين الوظيفة الفنية والبعد التربوي لأدب الناشئة.

2. مفهوم أدب الأطفال ووظائفه:

1.2. مفهوم أدب الأطفال:

يُعدّ أدب الأطفال من الأجناس الأدبية الحديثة نسبياً في التنظير، القديمة في الممارسة، وقد تبلور بوصفه خطاباً إبداعياً موجّهاً إلى فئة عمرية لها خصائصها النفسية والمعرفية والجمالية الخاصة. فمحمورية الطفل باعتباره المتلقي الأساس تجعل هذا الأدب مختلفاً في مقاصده وآلياته عن أدب الكبار، إذ لا يكفي بتحقيق المتعة الفنية، بل

حياة دقي

ينخرط في مشروع بناء الشخصية وتنمية الوعي والخيال واللغة. ومن هنا، فإن خصوصية الجمهور المتلقي تظل السمة الفارقة لهذا الأدب، كما يشير محمود شاكر سعيد إلى أن معيار التمييز الجوهرى في أدب الأطفال هو طبيعة الجمهور الذي يُوجّه إليه الخطاب الأدبي (سعيد،، 1993،، صفحة ص: 11) وانطلاقاً من هذا التصور، يصبح من الضروري التوقف عند مفهوم أدب الأطفال لا بقصد استعراض التعريفات، بل بهدف استخلاص ما يخدم منظور هذا البحث، بعيداً عن التعداد الوصفي للمقولات النظرية المتداولة.

يرى أحمد زلط أن أدب الأطفال فرع خاص من الأدب العام، يستند إلى أشكاله الكبرى (شعرًا ونثرًا وتراثًا شفاهياً وكتابياً)، غير أنه يتوجّه إلى مرحلة الطفولة مع مراعاة مستواها اللغوي والإدراكي، سواء عبر إنتاج نصوص جديدة أو إعادة معالجة نصوص موروثية بما يلائم هذا المتلقي (أحمد،، 1994،، صفحة ص: 30)، غير أن هذا التصور، رغم أهميته، يدمج أدب الأطفال في إطار الأدب العام دون أن يمنحه استقلالاً مفهوماً واضحاً، كما أنه يغفل الامتداد التاريخي للحكاية الشفوية الموجهة للطفل، التي شكّلت أحد أقدم أشكال التواصل السردي داخل الثقافة العربية.

في تعريف آخر، يربط زلط أدب الأطفال ببساطة اللغة ووضوحها وملاءمتها للرصيد المعجبي للطفل، إلى جانب اعتماد الخيال والمضمون المناسبين لمرحلته العمرية (زلط، 1994،، صفحة ص: 15)، إلا أن هذا التحديد يظلّ محكوماً بالبعد اللغوي والجمالي أساساً، ولا يحيط بما لهذا الأدب من وظائف تربوية ونفسية وقيمية تتجاوز حدود الأسلوب إلى مجال التكوين الشامل.

أما هادي نعمان الهيتي، فيوسّع الدائرة حين يعدّ أدب الأطفال مجموع الآثار الفنية التي تُصوّر أفكاراً ومشاعر وأخيلة منسجمة مع مدارك الطفل، وتتخذ أشكالاً متعددة كالقصة والشعر والمسرح والمقالة والأغنية (الهيتي،، 1977،، صفحة ص: 71). ويمنح هذا التصور أدب الأطفال وظيفة بنائية واضحة، إذ يجعله رافداً أساساً في نمو الطفل العقلي والنفسي والاجتماعي والعاطفي، بما يسهم في تشكيل نظرته إلى ذاته والعالم.

وفي السياق نفسه، يعرّف عبد الفتاح شحدة أبو معال أدب الأطفال من خلال أثره في المتلقي، باعتباره خطاباً يُحدث المتعة ويستثير الاهتمام ويسهم في توجيه القيم والانفعالات وتنشيط الفكر (الفتاح، 2008،، صفحة ص: 25)، ويكشف هذا المنظور عن الطابع الوظيفي المركّب لهذا الأدب، الذي لا يقتصر على الحكى أو التسلية، بل ينخرط في تشكيل الوعي والسلوك.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن أدب الأطفال مجال مفتوح تتقاطع فيه الجمالية بالتربية، والخيال بالمعرفة، واللغة بالقيم، وهو لا ينحصر في القصة أو الشعر، بل يشمل مختلف الأشكال التعبيرية القادرة على مخاطبة الطفل والمساهمة في بناء شخصيته في ضوء معطياته العمرية والثقافية.

2.2. أهمية الحكى للطفل:

تنبع أهمية الحكى وأدب الطفل عموماً من كونه لا يُخاطب مرحلة عابرة من العمر، بل يتوجّه إلى طور تأسيسي تتشكّل فيه البنى الأولى للوعي واللغة والخيال والقيم. فالطفل لا يتلقّى النص السردي بوصفه منتجاً جمالياً فحسب، وإنما يعيش عبره تجربة رمزية تتيح له فهم ذاته، وبناء علاقته بالعالم، وإعادة ترتيب ما يحيط به من

وقائع وتمثّلات. ومن ثمّ، يغدو أدب الطفل فضاءً مزدوج الوظيفة: فضاءً للتخييل والمتعة من جهة، ووسيطاً ثقافياً للتكوين النفسي والاجتماعي من جهة أخرى.

وإذا كان السرد يشترك، في جوهره، بين أدب الطفل وأدب الكبار من حيث الأسس البنائية العامة، فإن اختلافه يتجلى في طبيعة الأحداث وبناء الشخصيات وطرائق تقديمها، تبعاً لخصوصية المتلقي وخصائصه الإدراكية والانفعالية. فالنص الموجّه للطفل يُعاد بناؤه وفق منطق القرب والوضوح والتكثيف الدلالي، بما يجعله قابلاً للتقمّص والتخيّل.

وتشير الدراسات النفسية إلى أن انجذاب الأطفال إلى القصص والحكايات يرتبط بحاجتهم العميقة إلى اللعب الإيهامي وبناء عوالم بديلة، يختبرون فيها رغباتهم ومخاوفهم وتوتراتهم في صورة رمزية آمنة. فالقصة، من هذا المنظور، لا تؤمّن المتعة فقط، بل تتيح مجالاً لإعادة الاتزان النفسي عبر شخصيات وأحداث تشبه، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ما يعيشه الطفل في واقعه اليومي (محمود، 2004،، صفحة ص: 119).

كما تتجلى أهمية الحكيم في وظيفته التربوية والقيمية، إذ يشكّل أحد المصادر الأساسية لتعليم القيم الاجتماعية بمختلف صورها، وترسيخ أنماط السلوك الإيجابي، وتنمية الإحساس بالآخر، وغرس مفاهيم الانتماء والتعاون والاحترام. فالنصوص السردية تقدّم نماذج رمزية تمكّن الطفل من فهم العلاقات الإنسانية واستبطانها، دون الوقوع في المباشرة أو الوعظ.

ولا يقلّ البعد اللغوي والمعرفي أهمية عن غيره، فأدب الطفل يمثل مجالاً خصباً لتوسيع الثروة اللغوية، وتنمية الكفاية التعبيرية، وبناء الذائقة الجمالية. كما أنّ التفاعل المنتظم مع القصص والروايات يسهم في تكوين علاقة إيجابية مع القراءة، بما ينعكس على الرصيد الثقافي والعلمي والتاريخي للطفل عبر مراحل العمرية المختلفة.

وتبرز أهمية الحكيم، كذلك، في كونه يفتح أمام الطفل أفقاً واسعاً للخيال، إذ يتيح له الانتقال عبر الأزمنة والأمكنة، والوقوف على عوالم واقعية ومتخيّلة، والالتقاء بشخصيات قريبة منه أو بعيدة عنه، وهو ما يعزّز قدرته على التمثّل والتأويل وبناء التصورات. ومن خلال هذا المسار، ينمو خياله، ويتكوّن ذوقه الفني، ويتعزّز لديه حبّ القراءة بوصفها فعل اكتشاف لا مجرد نشاط مدرسي.

وانطلاقاً من هذه الاعتبارات، يمكن القول إن الحكيم وأدب الطفل لا يمثّلان نشاطاً ترفيهياً فحسب، بل يشكّلان ممارسة ثقافية وتربوية شاملة تسهم في بناء شخصية الطفل عقلاً ووجداناً وسلوكاً، وهو ما يفسّر عناية الأدباء والمربين بهما وتوظيفهما في مجالي التربية والتعليم.

3. البعد الإنساني والبناء الفني في رواية "الفتى الذي أبصر لون الهواء"

1.3. البناء الفني والدلالي في الرواية:

ينبغي الاشتغال في أدب الطفل على جملة من الضوابط التي تفرضها خصوصية المتلقي، إذ لا يتوجّه هذا الأدب إلى وعي مكتمل، بل إلى ذات في طور التشكّل، ما يجعل الكتابة له أكثر دقّة وتعقيداً من حيث اختيار

حياة دقي

الموضوعات وآليات التبليغ. فالخطاب الموجّه إلى الطفل، وإن كان يستثمر المتعة والتخييل، يظلّ محملاً بوظيفة تعليمية وتثقيفية واضحة، الأمر الذي يفرض على الكاتب وعياً مضاعفاً بطبيعة ما يقدمه وبالوسيط الذي يبلّغه إليه، وفي مقدّمته اللغة.

وفي هذا السياق، يشير إسماعيل عبد الفتاح إلى أنّ من أبرز ما ينبغي مراعاته في كتابة أدب الأطفال سلامة اللغة ودقّتها، واعتماد الفصح الميسّر القابل للفهم والاستيعاب، إلى جانب العناية بالبعد الجمالي للصورة والأسلوب، وضرورة إخضاع كتب الأطفال للمراجعة العلمية واللغوية، مع الانتباه إلى مضامينها الثقافية والفكرية (الفتّاح، 2000، صفحة ص: 73). غير أنّ أهمية هذه الاشتراطات لا تكمن في بعدها الشكلي، بل في كونها تؤسّس لعلاقة مبكرة بين الطفل واللغة بوصفها أداة معرفة وفضاء جمال في آن واحد.

وانطلاقاً من هذه المحدّدات، تتجلّى لغة الرواية محلّ الدراسة باعتبارها اختياراً واعياً يوازن بين الوضوح والدلالة الفنية. إذ تُسرد أحداث قصة الطفل "باسم" بلغة أدبية سلسلة، تراعي قواعد العربية وعلامات الوقف والتشكيل في مواضع عديدة، بما يخدم الفهم من جهة، ويُبقي على البعد الجمالي من جهة أخرى. ويتحوّل الاهتمام باللغة إلى عنصر دلالي داخل المتن نفسه، حين يجعل الروائي بطله شديد التعلّق بالعربية و متميّزاً فيها رغم إعاقته وظروفه الاجتماعية، كما يكشف عنه المقطع الذي يبرز تفوّقه في القواعد والإنشاء وثقته بسلامة أدائه في امتحان اللغة العربية .

يقول عنه في الرواية: يدرك أنه لا يجيد من الدروس التي تابعها في مدرسة القرية إلا العربية. كلّ المواد الأخرى نسّمها ولم يبق منها في ذاكرته إلا القليل. لكنّه يفتخر بأنه كان أكثر اجتهاداً في القواعد والإنشاء من معظم رفاق صفّه (...). ومرة انتظر بلهفة عودة ابن جيرانهم الذي يزامله في الصفّ كي يقرأ له ورقة الامتحان في اللغة العربيّة فأنجزها شفويّاً بسرعة وكله ثقة بأنّه لم يرتكب أي خطأ. وبعد أيام كان رفيقه يؤكد له عدم اقترافه أي خطأ. (عبد، 2011م،، صفحة ص: 34). وتبدو لغة الرواية مكيفة مع الفئة العمرية المستهدفة، الممتدّة من بدايات المراهقة إلى نهاياتها، إذ تتسم بالدقّة والوضوح، وتعتمد التفصيل في عرض الوقائع وتسلسل الأحداث، مع حضور لافِت للوصف النفسي الذي يواكب شخصية البطل وبقيّة الشخوص. ولا يقوم هذا التفصيل على المبالغة، بل يشغل على استثارة التعاطف وإشراك القارئ وجدانياً في التجربة السردية.

وإلى جانب هذا البعد اللغوي، تراعي الرواية جملة من الوظائف التربوية والمعرفية التي يُفترض أن ينهض بها أدب الفتیان. فهي توظّف السرد للتعريف ببعض أعلام الأدب وبمخترع طريقة "برايل"، وتفتح أفق القارئ على عالم المكفوفين بوصفه عالماً إنسانياً فاعلاً لا هامشياً. كما تشغل على فكرة الانتقال من القرية إلى العاصمة للالتحاق بمعهد المكفوفين بوصفها لحظة تحوّل معرفي واجتماعي، تتيح للشخصيات اكتساب خبرات جديدة، والخروج من دائرة العزلة، وبناء علاقات قائمة على التعاون والعمل الجماعي. وبهذا، تتجاوز الرواية الوظيفة الحكائية البسيطة لتؤسّس خطاباً تثقيفياً وإنسانياً يعزّز قيم الاندماج، ويعيد تمثيل ذوي الاحتياجات الخاصة باعتبارهم طاقة فاعلة داخل المجتمع.

تُضح من مسار الرواية أنّ عبده وازن لا يكتب للفتيان عرضاً، بل يوجّه خطابه إلى فئة عمرية دقيقة تمرّ بمرحلة التحوّل من الطفولة إلى المراهقة، حيث تتشكّل الميول المعرفية والوجدانية وتُبنى التمثّلات الأولى عن الذات والمجتمع. ولذلك لا يقتصر اشتغاله على مراعاة اللغة، بل يمتدّ إلى استحضار أغلب الاشتراطات التي يقوم عليها أدب الفتیان، من حيث الجمع بين المتعة السردية والبناء القيمي والمعرفي. فالرواية لا تكتفي بسرد تجربة فردية، بل تقترح نموذجاً إنسانياً يربط التعلّم بالاندماج الاجتماعي، ويجعل من المعرفة أداة لتحرير الفرد من الهشاشة والعزلة.

وفي هذا الإطار، تتوزّع وظائف النص بين بعد تربوي تعليمي يتجلّى في إدراج معارف مرتبطة بتاريخ القراءة لدى المكفوفين ومخترع طريقة "برايل"، وبعد تثقيفي إنساني يقوم على تمثيل عالم ذوي الإعاقة البصرية بوصفه فضاءً حيّاً قابلاً للإبداع والإنجاز، لا مجالاً للشفقة أو التهميش. كما تشتغل الرواية على فكرة الانتقال من القرية إلى العاصمة للالتحاق بمعهد المكفوفين بوصفها لحظة تحوّل مفصلية، تنتقل فيها الشخصيات من أفق محدود إلى أفق أوسع، بما يحمله ذلك من تجارب جديدة، واحتكاك بثقافات مختلفة، وبناء علاقات إنسانية قائمة على المشاركة والعمل الجماعي. ويغدو هذا التجمّع في حدّ ذاته عاملاً ثقافياً واجتماعياً يخفّف من حدّة العزلة، ويعيد تشكيل الإحساس بالذات داخل جماعة متقاسمة للتجربة نفسها.

ولا يكتفي النص بتضمين هذه المعطيات في الخلفية السردية، بل يحولها إلى مادة معرفية موجّهة للقارئ الفتي، كما يتجلى في تقديم طريقة "برايل" بوصفها أفقاً جديداً للقراءة. فالحوار الذي يدور بين "باسم" وصديقه في المعهد حول القراءة بالأصابع لا يؤدّي وظيفة إخبارية فقط، بل يفتح وعي المتلقي على شكل مختلف من العلاقة مع الكتابة، ويكسر الصورة النمطية عن حدود الجسد وقدرته على المعرفة، خاصة إذا ما استُحضر السياق العربي الذي لا تزال فيه هذه الطريقة محدودة الانتشار خارج العواصم والمدن الكبرى.

وعلى مستوى الثيمات، تهض الرواية على شبكة من الموضوعات الإنسانية والاجتماعية مثل الأسرة، والتعليم، والصداقة، والحب، غير أنّ الثيمة المركزية التي تشدّ هذه العناصر كلّها هي ثيمة تحدّي الإعاقة وتحويلها من عائق وجودي إلى محقّز على التحقّق. فقد نجح الكاتب في بناء مسار سردي يُبرز معاناة الأسرة وتضامن المحيط العائلي مع الطفل "باسم"، وفي الوقت نفسه يتتبّع تحوّل هذه المعاناة إلى طاقة إنجاز تنتهي بلحظة رمزية دالّة حين يحقق البطل حلمه بالفوز في مسابقة قصصية. وبهذا، لا يقدّم النص حكاية نجاح فردية فحسب، بل يؤسّس خطاباً موجّهاً للفتيان قوامه الإيمان بالقدرة على تجاوز الهشاشة وبناء الذات عبر المعرفة والإرادة. «كان فوز باسم بالمرتبة الأولى حدثاً في المعهد كما كان حدثاً في حياته. المديرية والأساتذة اعتبروا هذا الفوز انتصاراً للتلامذة المكفوفين، وبرهاناً على أنّ الآفة التي تحلّ بالإنسان لا تحول دون تحقيق أحلامه.» (وازن، صفحة ص: 114). هذا الحلم الذي كلّف صاحبه الكثير من السعي والتحدّي والحزن، أمّا السعي فقد اضطرّ لأن يحارب نفسه والزمن باعتبار أنه تأخر عن الالتحاق بالمعهد وبالتالي تحقيق التحصيل العلمي الكافي والإلمام بطرائق التدريس عبر البرايل واستخدام الكمبيوتر وإتقان اللغة الأجنبية، وأمّا الحزن فيمكن في رغبته الدفينة واليقظة دوماً بالسؤال عن الألوان واستحالة رؤية الأشخاص والأماكن..

لم يكتفِ وازن بهذه الوسيلة التعليمية المتطورة للمكفوفين وإنما ذهب إلى أبعد منها وهي الطباعة على الكومبيوتر وتظهر أحداث الرواية كيف أحرز (باسم) تقدماً كبيراً في هذا المضمار وأخذ يطبع بشكل احترافي دقيق

أهله لأن يساعد إحدى موظفات المعهد الذي يدرس فيه «فكر باسم مادمت قد أصبحت قادرا على الطباعة مثل المحترفين، فلماذا لا أعرض عليها المساعدة؟ تردد باسم (...) لكنه سرعان ما اقترب منها وقال لها:

- أسمحين لي بمساعدتك أيها العزيزة؟

- تساعدني، كيف؟ قالت له

لقد أصبحت ماهرا في الطباعة على الكمبيوتر، أطبع بالأصابع العشر وأحفظ غيبا كل مفاتيح الأحرف وتوابعها.» (وازن،،، صفحة ، ص: 101)

هذه المهارة الجديدة التي اكتسبها البطل عززت في نفسه الثقة وخلقت لديه شعورا بالمسؤولية والفاعلية، بقي أصبح إنسانا مفيدا لمن حوله وصار يدعم الآخرين بعدما كان هو من يأخذ يد العون، وفي هذا الموضوع نجد الكاتب يركّز على تمرير رسائل وترسيخ عادات وسلوكات مستحبة في نفوس الناشئة كالحث على المبادرة والتطوع في كل عمل يفيد الأفراد والمجتمع.

تبدو حيرة البطل في الرواية من صمته وأسئلته المتكررة ويكبر حزنه بعد مغادرته القرية والالتحاق بالمعهد، حيث ظلّ موزعا بين حنينه إلى القرية والأسرة وبين الواقع الجديد الذي أتاح له المعهد أن يحياه، هذا الإحساس يخفيه في قلبه، هو الذي طالما شعر أنه أكبر من عمره وأكبر من رفاقه الذي يجالونه. هل جعله فقدان البصر ينضج أكبر من رفاقه؟ أم أنّ الحزن الذي يخزّ قلبه هو الذي منحه القدرة على التفكير والاجتهاد؟، من خلال أحداث الرواية يظهر حزن "باسم" في عجزه عن القيام بما يقوم به رفاقه الذين يملكون حاسة البصر، فيتحوّل على عدم قدرته من مشاهدة التلفاز ولعب بعض الألعاب ورؤية الألوان والوجوه «كانوا يقولون له إنّ السماء في الصيف زرقاء وفي الشتاء رمادية ملبدة بالغيوم. كانوا يقولون له إنّ البحر أزرق والأرض بنية وأوراق الشجر خضراء والعشب أخضر.. لم يكن باسم يستوعب هذه الفروق في الألوان. كان يتمنى لو أن لها أحجاما ليلمسها بيديه أو لو أنّ لها روائح ليشمها بأنفه. كان يسأل دوما: ما لون الهواء؟». (عبده، ، الفتى الذي أبصر لون الهواء، صفحة ص: 54).

تعزيزا لفكرة الإبداع وشرعية حلم البطل (باسم) الذي يحلم أن يصبح كاتباً يقرأ له الكبار والصغار يورد الروائي شخصية الأديب طه حسين وأبو العلاء المعري وعبد الله البردوني الذين لمعوا في سماء الثقافة العربية، أدباء وكُتّاب وفنانين مكفوفين كثر تحدوا الإعاقة وانتصروا عليها، ولكن التركيز كان على (طه حسين) الذي أحبّه (باسم) وتعلّق به وبقصّة نجاحه وإبداعه «فرح باسم كثيرا في تعرّفه إلى موجز حياة طه حسين وأصرّ على البحث عن الجزء الأوّل من كتاب "الأيام" في طبعة مسموعة أو في "البرايل"» (عبده،،، صفحة ص: 105). وفعلًا قرأ باسم لطف حسين وسأل عن حياته وعرف أنّ في تراثنا العربي القديم أسماء كثيرة لشعراء وأدباء مكفوفين كانوا أشبه بالمنارات التي أضاءت عالمنا نحن المبصرين وهكذا كُبر الحافز عند باسم وقرّر أن يحذو حذو هؤلاء فشرع في كتابة القصص والمضي قدما في حلمه. ثمّ إن اندماجه في البداية مع أصدقائه الذي لا يشاركونه الإعاقة مكّنه من اكتساب الثقة "فوجود الطفل المعاق (...) جنبا إلى جنب مع أقرانه العاديين يمكّنه من إقامة علاقات اجتماعية وتنعكس بالإيجاب على تقديره لذاته وثقته بنفسه واندماجه في المجتمع". (مراكشي، 2025، صفحة ص: 117)

2.3. الزمن وبناء الشخصيات في الرواية:

يختار عبده وازن في رواية "الفتى الذي أبصر الهواء" بناءً زمنياً يقوم في جوهره على التعاقب الخطي للأحداث، حيث تتقدّم الوقائع وفق منطق سببي واضح يواكب نموّ التجربة الحياتية للبطل وتحولاتها. غير أنّ هذا الانتظام

الزماني لا يظل مغلقاً على تتابعه الآلي، إذ يتخلله حضور محدود للاسترجاعات والاستعدادات الذهنية التي تُستثمر لا لقطع السرد، بل لتعميق البعد النفسي وتوسيع أفق الدلالة. ويكتسب هذا المسار بعداً فنياً إضافياً من خلال النهاية المفتوحة التي لا تُقفل مصير التجربة إقفالاً نهائياً، بل تترك النصّ في حالة انفتاح دلالي تُشرك القارئ في استكمال المعنى، وتخرجه من وضعية التلقّي السلبي إلى موقع الشريك في إنتاج الدلالة.

ولا ينفصل هذا الاختيار الزمني عن طبيعة الشخصيات التي تنهض عليها الرواية، إذ تتشكّل في مجملها بوصفها شخصيات واقعية فاعلة تُستمدّ ملامحها من الحياة اليومية، وتتحرّك داخل فضاء اجتماعي وإنساني قابل للتصديق. وتتقدّم شخصية "باسم" بوصفها محور هذا البناء، لا باعتبارها نموذجاً بطولياً جاهزاً، بل باعتبارها ذاتاً في طور التكوّن، تواجه الإعاقة والحرمان وتعيد صياغة علاقتها بالعالم عبر المعرفة والإرادة. وتلتفّ حوله شبكة من الشخصيات المساندة: الأسرة، وأصدقاء القرية، ورفاق المعهد، بما يشكّل نسيجاً علائقياً يجعل من التجربة الفردية تجربة جماعية تتقاطع فيها المساندة العاطفية مع الدعم التربوي والاجتماعي. كما تكتسب شخصية "زينب" حضوراً دلاليّاً خاصاً، إذ تتجاوز دورها الحكائي لتغدو تمثيلاً رمزياً للحبّ بوصفه قوة داعمة تمنح الوجود معنى وتوازناً.

وإذا كانت الشخصية، في المفهوم الروائي الحديث، ليست كياناً واقعياً مباشراً، بل بناءً تخيلياً يخضع لوعي المؤلف واختياراته الجمالية، فهي «كائن من ورق يمتزج بالخيال الفني للروائي، يصوغه وفق رؤيته بإضافة الأحداث أو حذفها، بغية تشكيل المعالم التي يريد أن يرسمها لها» (آمنة، دت، صفحة ص: 27) وانطلاقاً من هذا التصوّر، يمكن فهم صفات شخوص الرواية ووظائفهم السردية بوصفها امتداداً للأفق القيمي والفكري الذي يسعى النص إلى نقله إلى القارئ.

وتزداد أهمية الشخصية داخل هذا البناء لأنها تشكّل أحد المحركات الأساسية للأثر الفني، إذ «بإضفائها على الرواية دلالات خاصة، تتجلّى فيها بوضوح لتسهم في تصوير موضوعاتها وتنفيذها والأسلوب المتبع فيها» (جبور، دت، صفحة ص: 147). من ثمّ، فإن واقعية الشخصيات في هذه الرواية ليست مجرد اختيار شكلي، بل هي شرط دلالي لتمكين الموضوعات الاجتماعية والإنسانية والتربوية من الاشتغال داخل أفق التلقّي.

ولأن الرواية موجّهة إلى قارئ فتّي يتّسم بخصوصية نفسية ومعرفية، فإن هذا الاختيار يفرض على الروائي درجة عالية من الدقة في بناء شخصياته، بحيث تكون قابلة للتصديق والتماهي، وقادرة في الوقت نفسه على حمل القيم والمعاني دون مباشرة أو افتعال. فنجاح الأديب هنا يقاس بمدى قدرته على إقناع المتلقي بأن شخوصه ينتمون إلى عالم ممكن يشبه واقعه أو يجاوزه، بما يحقّق التوازن بين المتعة السردية والفائدة التربوية.

3.3. البعد الإنساني في الرواية:

يتجاوز أدب الناشئة في طبيعة مخاطبه حدود أدب الأطفال التقليدي، إذ يتوجه إلى فئة عمرية وسطية تقع بين الطفولة وسن النضج، حيث تتشكل وعي الفرد وقدراته الفكرية والعاطفية بشكل متسارع. ومن هنا يفرض هذا الأدب على الكاتب انتقاء ثيمات تربوية هادفة، ومراعاة منظومة القيم الأخلاقية، وتعزيز ملكة الخيال، وتنمية الذائقة الجمالية، فضلاً عن تشجيع القارئ على الإبداع والابتكار. وفي هذا الإطار، تتفرد رواية الفتى الذي أبصر لون الهواء لعبده وازن بقدرتها على الجمع بين هذه الوظائف، إذ توظف الثيمات الإنسانية والاجتماعية في معالجة تحديات مرحلة المراهقة، وتعرض للقارئ نموذجاً من التكافل الأسري والدعم الاجتماعي الذي يتيح للطفل مواجهة المخاطر المجتمعية، مثل تفشي المخدرات، والأنانية، والتنمر، في ظل غياب التكاتف الأسري.

حياة دقي

كما تقدّم الرواية شبكة علاقات اجتماعية متوازنة، تشمل الأسرة والأصدقاء في القرية والمعهد، مع التركيز على التعايش بين الأديان والثقافات، كما يظهر في شخصية جورج المسيحي المقابل لباسم المسلم، ما يعزز قيم التسامح والاندماج. ويكتسب عنصر الحب في الرواية طابعًا خاصًا، إذ تقدّم تجربة عاطفية متدرجة، تعكس قدرة أدب الناشئة على تصوير المشاعر الرقيقة والمعقدة في آن واحد، كما يتضح من علاقة باسم بابنة عمه زينب، حيث يتجلى الحب العذري من خلال التلميحات الرمزية التي تُثري التجربة السردية دون اللجوء إلى التصريح المباشر، ما يتيح للقارئ المشاركة في بناء الحدث وفهم الدوافع الداخلية للشخصيات.

ولا يغفل النص عن عنصر التشويق، الذي يمتد من الاستهلال وحتى الخاتمة المفتوحة، ليحافظ على مشاركة القارئ في رحلة الاكتشاف والمعرفة. وفي هذا السياق، تعكس الرواية خبرة الروائي وازن في مزج المعارف الإنسانية بالقيم الفنية والتربوية، ويظهر ذلك في أعماله الأخرى مثل *حياة معطلة*، و*الغابة المقفلة*، و*حديقة الحواس*، و*سراج الفتنة*، إضافة إلى تقديره من خلال جائزة الصحافة الثقافية لنادي دبي للصحافة، ما يؤكد استمرارية اشتغاله على الأدب الطفولي والناشئ بمسؤولية فنية وأخلاقية.

4. خاتمة

لقد أبانت القراءة التحليلية لرواية (الفتى الذي أبصر لون الهواء) أنّ أدب الناشئة العربي قادر على الجمع بين البنية الفنية والرسالة الإنسانية في آن واحد، بما يمنحه خصوصية ماثرة داخل المشهد السردى العربي المعاصر. كما أوضحت الدراسة أنّ النص ينتمي بوضوح إلى أدب الفتيان، من خلال مراعاة خصائص هذه الفئة العمرية واستدعاء قضاياها العميقة.

لقد أبرزت الرواية بُعدًا إنسانيًا مهمّشًا في كثير من الأعمال السردية العربية، يتمثل في معاناة ذوي الإعاقة البصرية، لكنها لم تتوقف عند تسجيل المعاناة بل ارتقت بها إلى مستوى تربوي وجمالي يسعى إلى ترسيخ قيم الإرادة والتحدى والتضامن. كما كشفت الدراسة أنّ البنية الفنية للرواية، من لغة واضحة وسرد مشوّق وحبكة متماسكة، لا تُختزل في البساطة الشكلية بل تتجه نحو بناء نص قادر على تحفيز خيال الناشئة وتوسيع آفاق وعيهم.

وتأسيسًا على ذلك، يمكن القول إنّ هذه التجربة السردية تمثّل إضافة نوعية إلى أدب الناشئة في العالم العربي، إذ نجحت في تقديم نموذج يجمع بين الإبداع الأدبي والرسالة التربوية دون أن يطغى أحدهما على الآخر. وهو ما يفتح المجال أمام الباحثين والكتّاب لإعادة النظر في هذا الجنس الأدبي، وتطويره بما يليّ حاجات الجيل الجديد، ويمنحه مساحة للتفكير والإبداع والانفتاح على قيم إنسانية كونية. بذلك تؤكد رواية وازن أنّ أدب الناشئة ليس مجرد مرحلة عابرة بين الطفولة والرشد، بل هو حقل معرفي وجمالي متكامل يستحق أن يحظى بمزيد من العناية النقدية والبحثية.

5. قائمة المراجع:

- أحمد زلط. (1994). أدب الأطفال بين أحمد شوقي، وعثمان جلال، ط1، . مصر: دار النشر للجامعات المصري.
- إسماعيل عبد الفتاح. (2000). ، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، ط01، . دار ناشر المكتبة العربية للكتاب،.
- حسن إسماعيل محمود،. (2004). المرجع في أدب الأطفال، ، ط1، . القاهرة: دار الفكر العربي.
- زلط أحمد،. (1994). ، أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي، ط1، . القاهرة: دار المعارف.
- شحدة أبو معال عبد الفتاح. (2008). أدب الأطفال وثقافة الطفل، . القاهرة: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، .
- عبد النور جبور،. (دت). المعجم الأدبي، ، ط01. بيروت: دار العلم للملايين.
- عبده وازن. ، "الفتى الذي أبصر لون الهواء"، .
- عبده وازن،. "الفتى الذي أبصر لون الهواء"، .
- محمود شاكر سعيد،. (1993). ، أساسيات أدب الأطفال، ط1، . دار المعراج.
- مسعود حناشي والصالح مراكشي. (جوان، 2025). "اتجاهات معلمي المدارس الابتدائية نحو الدمج الشامل للأطفال المعاقين سمعياً الخاضعين لزراعة القوقعة". مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، صفحة ص: 177.
- هادي نعمان الهيتي،. (1977). أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، -، . بغداد: الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة.
- وازن عبده. (2011م). "الفتى الذي أبصر لون الهواء رواية للفتيان"، ط01، ، . بيروت-لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون،.
- وازن عبده. ، الفتى الذي أبصر لون الهواء.
- وازن عبده،. الفتى الذي أبصر لون الهواء، .
- يوسف آمنة. (دت). ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق. دمشق: دار الحوار.